[١٨١ – عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: (من شهد الجنازة حتى يصلى عليها: فله قيراطٌ، ومن شهدها حتى تدفن: فله قيراطان) قيل: وما القيراطان؟ قال: (مثل الجبلين العظيمين).

ولمسلمٍ: (أصغرهما مثل أحد)].

اشتمل هذا الحديث الشريف على ندب النبي ﷺ لأمته إلى شهود الجنائز وتشييعها وحضورها عند الدفن، والسبب في ذلك: أن تشييع الجنائز فيه خيرٌ كثيرٌ للمشيع ولأهل الميت وللميت، فتشييع الجنازة يذكِّر الإنسان بالآخرة، وهو يرى أخاه المسلم الذي كان في هذه الدنيا – خاصةً إذا كان ممن أنعم الله عليه بنعمته في عزه وجاهه – يراه محمولاً على الأعناق بعد أن كان حاملاً لغيره، ويراه جثةً هامدةً بعد أن كان متحركاً يصول ويجول، فإذا به لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً.

بينما امرؤٌ بين يديك حيا إذ صرت لا تبصر منه شيا

كذلك أيضاً: يشعر أهل الميت بأخوة الإسلام، ومشاركة الناس لهم في أحزانهم وأشجانهم، وأهل المصيبة يتأثرون كثيراً بتعزية الناس وشهودهم لميتهم وتشييعهم لقريبهم: الأمر الذي يقوي أواصر الأخوة والمحبة بين المسلمين، خاصةً إذا نظر المسلم إلى المشيعين فوجد فيهم من هو غريبٌ لا يعرفه، ولكنه شيع جنازة قريبه؛ إيماناً بالله واحتساباً للثواب عند الله ﷻ. كذلك أيضاً، في تشييع الموتى خيرٌ كثيرٌ للميت: من الدعاء له، والترحم عليه، والاستغفار له، وقد بين النبي ﷺ أن من حقوق المسلم على أخيه المسلم: تشييع جنازته، فإذا مات فإنه يشيعه، وبذلك يحفظ حق الأخوة، وهذا يدل على كمال هذا الدين وعظمته، فإن أخوة الدنيا تنتهي إذا انتهت مصالحها، وتنقضي إذا انقضت حوائجها، ولكن أخوة الإسلام والدين: وشيجةٌ إيمانيةٌ باقيةٌ ما بقي الزمان وتعاقب الملوان.

ينتفع المسلم بأخوته لأخيه المسلم وهو في حياته: يأمره بما أمر الله، وينهاه عما نهاه الله عنه. فإذا مات: غسله، وكفنه، ثم حمله، ثم شيعه، ثم صلى عليه ودعا له واستغفر له، ثم قبره. وحفظ وُدَّه حتى بعد موته؛ عملاً

بوصية النبي ﷺ: فذكر محاسنه، وكف عن مساوئه. وبذلك يدرك المسلم عظمة هذا الدين، وكمال هذا الدين الذي بُعث به النبي ﷺ.

فمن أخوة الإسلام: تشييع جنازة المسلم، وأكمل ما يكون التشييع: إذا كان من بيت الميت، فإذا حضره وشهده بعد تغسيله وتكفينه، وحمَله: فإنها قربةٌ، ولكنها تكون قربةً فيها هذا الثواب العظيم الذي ذكره النبي ﷺ ، وبين أنه قيراطٌ من الأجر، أنه الجبل العظيم، أصغره: مثل أحدٍ، وهذا يدل على عظم ما أعد الله من الثواب، ولا يكون هذا الثواب إلا بشرطٍ بينه النبي ﷺ في الرواية الأخرى، ودلت عليه النصوص في كتاب الله وسنة النبي ﷺ ، فالله يعطي قيراط الأجر ويعطي قيراطي الأجر في تشييع الجنازة، والصلاة عليها، وشهودها عند الدفن: لمن فعل ذلك إيماناً واحتساباً، أي: إيماناً بالله واحتسابا للثواب عند الله ﷻ. فإذا بلغ المسلم أن أخاه قد توفي، فأكمل ما يكون في حفظ الود والأخوة: أن يذهب إلى بيته، وإن أمكنه أن يُصَبر أهله وذويه بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة، فإن هذا مما يُعْظم الله به الأجر، وكما أرسله الله وقيَّضه الله؛ لتثبيت قلوب أهل أخيه، فإنه لا يبعد أن يقيض الله لأهله وذويه من بعده من يثبتهم، كما ثبَّت الله به غيره، فما جزاء الإحسان إلا الإحسان. فحضور الميت منذ خروجه من بيته فإنه أكمل، ثم بعد ذلك تشييعه يكون على الصفة المسنونة: فيشيعه خاشعاً متخشعاً، ولا يلغط، ولا يجهل، ولا يكون في غفلةٍ: من الحديث في أمور الدنيا، فإن ذلك من أعظم الدلائل على قسوة القلوب، ونسيان الحقوق: أن تشيع الجنائز، فتسمع من يتحدث في أمور الدنيا، أو يلغط في حديثها – نسأل الله السلامة والعافية –.

كذلك يتقي البدعة والحدث: من الصراخ والعويل بأمورٍ لم تدل عليها السنة الواردة عن النبي ﷺ ، فقد شيَّع – عليه الصلاة والسلام – أصحابه، فما صاح بينهم: وحدوه !! ولم يصح بينهم بذكرٍ معينٍ أو لفظٍ معينٍ، فدل على أن السنة: الخشوع والسكون، والكف عن هذه الأمور التي لم يرد بها دليلٌ صحيحٌ عن النبي ﷺ. ويُترك الناس؛ لكي ينظروا بأعينهم، ويعتبروا في قلوبهم بهذه المشاهد وبهذه الأحوال.

وبين – عليه الصلاة والسلام – أن تشييع الميت فيه قيراطٌ من الأجر، وفي آخر الحديث ما يدل على أن القيراط مثل الجبل العظيم، وجاء في رواية مسلمٍ: **[(أصغرهما مثل أحد)]** فإن كان تمثيلاً للثواب: فإن القيراط يتفاوت في الحجم، فهو جبلٌ عظيمٌ، وأقل هذه القراريط: مثل أحدٍ، فيتفاوت الناس بحسب تفاوت

تشييعهم للموتى، فمن شيع الميت وحمل جنازته وتكلف في ذلك الحمل، وكذلك شيعه وهو يدعو ويستغفر ويترحم على الميت، أو شيعه حاضر القلب معتبراً بحاله، وأصبح منذ خروجه للجنازة حتى دفنها وهو معتبرٌ بحال أخيه، ولربما تأثر فحزن، فخشع قلبه، وبكت عيناه من خشية الله ﷻ: فهذا بخير المنازل، وقيراطه على أتم الوجوه وأكملها.

وكذلك بين – عليه الصلاة والسلام – أن شهود الجنازة حتى تُدفن فيه قيراطان. وقال بعض العلماء: إن القيراطين من أجل الصلاة، ومن أجل الدفن. وقال بعضهم: قيراطٌ للتشييع، وقيراطٌ للصلاة عليها وشهودها حتى تدفن. حتى اشترط بعض العلماء شرطاً: وهو أن القيراطين لا تكون إلا لمن شهد الدفن، بمعنى: أن ينتظر حتى يُفرغ من الدفن، قال بعض أهل العلم: عُظِّم أجر هذه الطاعة والقربة: وهي تشييع الميت، والصلاة عليه، وقبره وشهود دفنه حتى يُفْرغ منه؛ لما في ذلك من الاتعاظ والاعتبار، وكذلك: لما فيه من الأجور والحسنات والخير الكثير بدعوة المسلم لأخيه المسلم.

وفي قوله: **[(حتى تدفن)]** أي: حتى يفرغ من دفنها. وبناءً على ذلك: ما يقع هذا الثواب تاماً كاملاً إلا لمن تحقق فيه شهود الجنازة حتى تُقبر وينتهى من دفنها تماماً، فينقص أجر الإنسان إذا انصرف قبل الدفن، أو انصرف أثناء الدفن؛ لأن الدفن داخلٌ في الغاية؛ لأنه من جنس المقصود الشرعي من شهود الجنازة حتى يفرغ منها.

وفي هذا الحديث دليلٌ على أن الطاعات والأعمال الصالحة توزن؛ لأن النبي ﷺ مثَّلها بالأشياء العظيمة في جِرْمها وثقلها. وقد اختلف العلماء – رحمهم الله – في يوم القيامة: هل يكون الوزن فيه للأعمال؟ أو يكون الوزن فيه للعامل نفسه؟

فقال بعض العلماء: إن الأعمال توزن، وإن الله ﷻ يجعل أقوال العبد والأعمال الصالحة كالأشياء المحسوسة، فتوضع في كفة ميزانه، فما كان من خيرٍ ففي كفة الخير، وما كان من شرٍّ ففي كفة السيئات، ثم بعد ذلك يوزن عمله، واستدلوا بقوله – عليه الصلاة والسلام – حينما رفع رأسه من الركوع: (لك الحمد ملء السماوات، وملء الأرض، وملء ما شئت من شيءٍ بعد، أحق ما قال العبد ...) الحديث. وفي روايةٍ: (ملء السماوات، وملء الأرض، وملء ما بينهما) قالوا: فهذا يدل على أن الحمد له ثقل، وكذلك قال – عليه

الصلاة والسلام –: ("الحمد لله" تملأ الميزان، و"سبحان الله" و"الحمد لله" تملآن – أو تملأ – ما بين السماء والأرض). فقال: ("الحمد لله" تملأ الميزان) فهذا يدل على أن الحمد – وهو من الطاعة القولية – له جِرْمٌ وثِقَلٌ وأنه يوزن.

وأكد هؤلاء – أي: أصحاب القول الأول – أن الأعمال توزن أكدوه بقوله – عليه الصلاة والسلام –: (سبحان الله عدد خلقه، ورضاء نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته) فقوله: (وزنة عرشه) وهذا كله، قالوا: إنه يدل على أن الأعمال تصور ويكون لها جرمٌ، وتكون في ميزان العبد: إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

وقال بعض العلماء: إن الذي يوزن هو العامل نفسه؛ لأن الله – تعالى – يقول: ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴾ وثبت عن النبي ﷺ: أنه يؤتى بالكافر يوم القيامة، فلا يزن عند الله جناح بعوضةٍ – نسأل الله السلامة والعافية –.

والذي يظهر – والعلم عند الله –: أن كلا الأمرين واقعٌ يوم القيامة، فتوزن الأعمال؛ لثبوت الأحاديث بوزنها. ويوزن العامل؛ لأن النبي ﷺ قال في الحديث الصحيح، حينما ضحك الصحابة من ساقي عبدالله بن مسعودٍ – وكان دقيق الساقين رضي الله عنه –، قال – عليه الصلاة والسلام –: (أتضحكون من دقة ساقيه؟! لهما أثقل في الميزان عند الله يوم القيامة من جبل أحد) فهذا يدل على أن العامل يوزن، وصرح – عليه الصلاة والسلام – بأنها موزونةٌ.

ومن أنسب الأوجه والأجوبة التي اختارها العلماء: أن عرصات يوم القيامة عديدةٌ: فهناك عرصةٌ توزن فيها الأعمال، وهناك عرصةٌ يوزن فيها العامل، كما أجاب ابن عباسٍ – رضي الله عنهما – في أجوبته لابن الأزرق في مسائله المشهورة، وبناءً على ذلك: فإن عرصات يوم القيامة توزن فيها الأعمال ويوزن فيها العامل [.....].